

تحفة الأبرار في تحرير لا تدركه الأبصار

تأليف

السيد العلامة المحقق

أحمد بن لطف بن زيد بن علي الديلمي

عضو دار الإفتاء سابقاً

أعدّها للطبع

أحمد علي المهدي

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

الطبعة الأولى

٢٠٠٨/هـ١٤٢٩م

إخراج: عبد الباسط حسن النهاري

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية لعام ٢٠٠٨م

()

دار الإمام زيد بن علي الثقافية للطباعة والنشر

ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٢٠٥٧٧٧-٠٠٩٦٧١)

فاكس (٢٠٥٧٧١-٠٠٩٦٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٢٠٥٧٧٧-٠٠٩٦٧١)

فاكس (٢٠٥٧٧١-٠٠٩٦٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية

Website: www.izbacf.org ; email: info@zbacf.org

نبذة عن المؤلف

هو العلامة الأديب، والمجتهد الجهد الأريب، حافظ العلوم، ومحقق منطوقها والمفهوم، أحمد بن لطف بن زيد بن علي بن الحسن بن عبدالوهاب بن الحسين بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن علي بن الناصر بن محمد بن المتصر بن عبد الله بن محمد بن صلاح بن عبد الله بن حسين بن المطهر بن صلاح بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن قاسم بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن الإمام المنصور أبي الفتح الديلمي رحمته الله.

مولده ونشأته

ولد بمدينة دمار في شهر شوال ١٣٥٤ هـ، نشأ في ظل أسرة علوية كريمة، تَمَّعُ العلم وتشغف بمكارم الأخلاق، ربه على السجايا الحميدة والخلال الكريمة.

حياته العلمية ومشائخه

بعد أخذ المهجاء والخط والقرآن أخذاً أولاً عن المعاهد الموجودة آنذاك أخذ عن والده وعن أعيان علماء ذمار، منهم السيد العلامة عبد الله بن محمد السوسوة، والسيد العلامة عبد الله بن أحمد الصادق، والعلامة أحمد بن أحمد سلامة، والقاضي أحمد بن أحمد الحفافي، وأخذ عن السيد العلامة عبدالوهاب بن أحمد الوشلي، ثم رحل إلى صنعاء لإكمال منهج الدراسة بها، وبعد اختباره أُلق بالشعبة الثامنة، إذ كانت المدرسة العلمية آنذاك مؤلفة من اثنتي عشرة شعبة، واستمر حتى أنهى المنهج وأُعطى راتباً على التدريس بها، وأخذ عن غير علماء المدرسة العلمية بصنعاء من أعيان العلماء المحققين، منهم السيد العلامة علي بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد، ومنهم القاضي المحقق يحيى بن محمد العنسي، والعلامة أحمد بن أحمد البهلوي، ومنهم العالم المحقق محمد بن صالح بن شمس الدين البهلوي، ومنهم

علي بن عبد الله أبو طالب، ومنهم القاضي المحقق عبد الله السرحي، ومنهم مفتي الجمهورية المؤرخ أحمد بن محمد زبارة.

مؤلفاته

- ١- ترياق ذوي الأبصار من سموم فتوى الدار.
 - ٢- تحفة الأبرار في تحرير لا تدركه الأبصار (وهي الرسالة التي بين يديك).
 - ٣- تجريد أحاديث حلية الأولياء.
 - ٤- الزيدية (بين محب غال ومبغض قال).
 - ٥- المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام.
- وله منظومات شعرية، ومقامات أدبية، ورسائل نثرية تنبئ عن علمه الزاخر وذكائه وجودة قريحته.

هذه الرسالة

تعد من نفائس ما ألف في فن أصول الدين، إذ إن شيخنا حفظه الله تكلم في مسألة الرؤية من منظور لغة العرب، إذ القرآن عربي مبین، ولم يتحيز إلى قول مذهب من المذاهب، وأورد سماحته الأدلة المقنعة والحجج المنيرة على امتناع رؤية الله في الآخرة بما لا مزيد عليه فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها.

هذي الرسالة إن تُباع بوزنها

ذهباً لكان البائع المغبوناً

فجزى الله مؤلفها خيراً ونفع بها أمة الإسلام آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أحمد علي محمد المهدي

أحد تلاميذ المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين،
وعلى آله الأكرمين، وصحابه الراشدين..

وبعد..

فإني لما وقفت على رسالة مفتي الجمهورية العلامة أحمد
محمد زبارة^(١) المحررة في متعلق امتناع رؤية الله تبارك وتعالى
بالأبصار على صغر هذه الرسالة، وجدتها حسنة السبب
محكمة الحُبك^(٢)، فعظم في قلبي موقعها، وكبر في صدري
مهيبتها^(٣)، فقد سلك فيها مسلكاً يحمل المنصف على التسليم
والقنوع، وجاءت على مستوى السواد الأعظم^(٤) قريية

(١) المفتي: أحمد بن محمد بن محمد بن يحيى زبارة الصنعاني، العالم الكبير، المفتي العام لليمن،
المؤرخ ابن المؤرخ، مولده في ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٢٥ هـ بهجرة الكيس، له من المؤلفات
(تكملة نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر)، (الفقه الزيدي) (مختصر الفرائض)
وغيرها، تمت أعلام المؤلفين الزيدية ص ١٨٨.
(٢) الحبك: الشد والإحكام - تمت قاموس.
(٣) المهيبة: الطريق الواسع الواضح - تمت قاموس.
(٤) الأكثرية من الناس.

المنال غريبة المنوال : إلا أني رأيت أن في بعض فقرها () ما يحتاج إلى مزيد، إما إيضاح وتفصلة، أو زيادة من نقل علماء الفن مما يكون لها كالتكملة، فرغبت في تذييلها بما يكون كالنتاج على الحسناء، أو كالحور () في المقلة الوسنى () ، أو بإضافة شيء إليه له علاقة به تأسيساً، أو تأكيداً من قواعد اللغة والأصول، وتقريرات من أرباب التحرير في المعقول والمنقول، إذ هما قطب الرحى، وعليهما لأرباب التحقيق الاعتماد والانتحاء () ، حينما يخوضون في تفسير أو تأويل الكتاب العزيز، أو سنة رسول القوي العزيز، وقد جعلت ذلك بين فنقلة () وجوابها.

() جمع فقرة.

() الحور : شدة بياض العين في شدة سوادها - تمت مختار الصحاح ومنه الحور العين.

() الوسنى : العين التي اخذت في النوم ومنه (وسنان أقصده النعاس) - من شواهد الكشاف.

() الانتحاء: هو نفس الاعتقاد.

() فنقلة: هي كلمة منحوتة من (فإن قلت).

ففي متعلق امتناع الرؤية في الأخرى، فقد ردّه سماحة المفتي كثر الله من فوائده بما يشفي، وأحببت أن أضيف إلى ذلك ما يلي:

فأقول لمن يدعي إمكانها في الأخرى.

فإن قلت: بل الرؤية ممكنة في الأخرى، قلت: قد اتفقنا على استحالتها في الدنيا، وزعمت إمكانها في الآخرة، فلا بد إذاً من حصول تغييرٍ إمّا في الرائي، أو في المرئي، فإن زعمت أنه في الرائي فلا نسلم، وسندنا في المنع قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [:] فالنظر الذي كلّ عن رؤية الحق سبحانه هو الذي أعيد في الآخرة، وإذا كان كليلاً^(١) في الأولى فهو كليلاً في الأخرى.

وإن زعمت أن التغيير في المرئي جل وعلا، فقد جوزت على الحق سبحانه الانتقال من حالٍ إلى حالٍ كان على خلافها.

() الكليل : العاجز.

تفصيل حجة المنع وسندها^(١)

احتج الخليل عليه السلام على الصَّابئة في نفيه إلهيتها بتغيرها وتحولها من حال إلى خلافه ودونك^(٢) النصَّ المبارك.

قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ط قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ط فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [

فأنت ترى الخليل عليه السلام قد أقام عدم المحبة^(٣) مُقام نفي الإلهية، كما أقام العداوة في مقام آخر في

(١) مراد المؤلف بسند المنع هو عدم جواز انتقال الحق سبحانه من حال إلى آخر؛ لأن ذلك من صفات المحدثين.

(٢) اسم فعل أمر بمعنى خذ.

(٣) وهي لا أحب الآفلين بمعنى هذه ليست ياله لأنه لا يصح أن يبغض إبراهيم شيئاً هو الإله.

قوله: ﴿فَالَيْهِمْ عُدُّوْا لِي﴾ مُقام نفي الإلهية ﴿إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني فأنا أحبه وهو ربي، والظاهر أنه لهذا سُمي الخليل، ومُنح مخاللة الرحمن، ثم انظر إلى هذا الأسلوب المعجز، والنظم المحكم الذي بعضه أخذ بأعناق بعض، كيف أقام به الحجة وبهت الذي كفر وأدحض شبهته، وكيف انتقل الخليل ﷺ انتقالاً منطقياً من تغير معبودهم إلى عدم استحقاقه، وعدم صلاحيته للالهية، لأن الذي تجري عليه الأحداث عاجز عن ذبها⁽¹⁾ عن نفسه، وإذا كان عاجزاً عن حماية نفسه فهو عن دفع ضررٍ أو جلب نفعٍ عن غيره أعجز.

فصل

الأحداث الزمنية مُحَدَّثة مقدّرة مرهونة⁽²⁾ بأوقاتها مرتبطة بأسبابها، ولا تجري إلا على مخلوق عاجز عن ردها عن نفسه،

(1) ذبها: دفعها، الذب: الدفع والمنع، تمت مختار الصحاح.

(2) مرهونة: مربوط وجودها بزمن معين.

فهو يصبح محلاً لها رغم شنّانه^(١) لها كالضعف بعد الفتوة، والشيب بعد الشباب، والمرض بعد الصحة وهكذا، وهي لا تجري إلا على محدث مخلوق، ولهذا فإنه ليس شيء من الأحداث يجري على الحق تعالى وتقدس.

وهنا نقف مع الحكمة العلوية لوالدنا، ومولانا علي^(عليه السلام) وكيف يجري عليه ما هو أجراه على غيره^(٢) وقد أيد الله حجة خليله إبراهيم^(عليه السلام)، وشهد له بالفلج^(٣) والغلب على قومه على أنها قاعدة من قواعد التوحيد نهجها جميع الرسل، وأمّها^(٤) كل الأنبياء^(عليهم السلام) وأمروا بها جميعاً كما أمر بها خاتم النبيين^(صلى الله عليه وآله وسلم) تلك هي ملة إبراهيم قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [لأنها لم تكن مرتجلة من خليل الرحمن^(عليه السلام)، وإنما هو الوحي

(١) الشنّان: شدة البغض.

(٢) نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٧٩ طبعة الأعلمي.

(٣) الفلج: الظفر والفوز. تمت قاموس.

(٤) الأمّ: بالفتح القصد، يقال: أمّه أي قصده. تمت مختار الصحاح.

والإيتاء والإلهام، ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [:] ^(١) ثم قفى ^(٢) هذا المنّ والاختصاص بما يدل على أهلية إبراهيم لذلك ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأُهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٣) [. فقف بقلب شهيد وذهن عتيد ^(٤) عند هذه الحجّة الدامغة، ثم قل وأعجابه، ممن يشبهون من ليس كمثله شيء بخلقه، وينسبون إليه ما مجدّ نفسه في كتابه العزيز بنفيه عنها ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ [ولو ذهب تشبه أباً أو أمّاً لأحدهم بحيوانٍ لتمييز ^(٥) غيظاً، لكنه لا ينجل حينما يشبه الخالق بالخلق ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [.

(١) فالحجة التي جاءت على لسان إبراهيم هي وحي من الله.

(٢) قفى: أتبعه.

(٣) ولهذا قفى هذه الآية بـ﴿حكيم عليم﴾، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الله أعلم حيث

يجعل رسالته﴾.

(٤) عتيد: حاضر.

(٥) تميز: تقطع غيظاً. والغيظ: الغضب.

فصل

فإن قلت: قد استفدتم التأييد في قوله: ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي﴾
من لن وهي عند عامة المحققين لا تفيده ولم يذهب إليه إلا
العلامة الزمخشري رحمه الله^().

قلت: نحن نقول بأن نفي الفعل للتأييد، ولا نرى أن
مصدر التأييد لن وحدها، وإنما مصدره ما تقرر عند أرباب
التحقيق وسباق التحرير من علماء العربية والأصول، من أن
الفعل في سياق نهي أو نفي يفيد التأييد وينزل ولو مع غير لن
منزلة النكرة المنفية في عمومته، وتناول جميع أجزاء الزمن
المستقبل لأنك إذا قلت (زيد لا يأكل الطعام) أو (لا ينام)

() الزمخشري: هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري جار الله،
كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كثير الفضل، غاية
في الذكاء، وجودة القريحة، متفنناً في كل علم، معتزلاً قوياً في مذهبه مجاهرأ به،
حنفياً، ولد في رجب ٤٦٧ هـ بزخشر من أعمال خوارزم، وتوفي بقصبة خوارزم
يوم عرفة ٥٣٨ هـ من كتبه (الكشاف) و(أساس البلاغة) و(المفصل) و(نوابغ
الكلم) و(ربيع الأبرار) وغيرها.

فمعناه لا يصدر منه هذا الفعل في حال من الأحوال أو (لا يركب الخيل) أو (لا يأكل القات) أو (لا يشرك بالله) فمعناه التعميم ولو وجد منه شيء من الإشراك في زمن ما لكان كذباً، وكذلك النهي يستغرق المستقبل فإذا قلت (لا تشرب الخمر)، أو (لا تأكل الخنزير)، أو (لا تعق أباك) فمعنى النهي أن لا يوجد شيء من المنهي عنه في أي جزء من الزمن المستقبل بخلاف الإيجاب نحو (زيد يشرب الخمر) فيكفي في صدقه وقوعه مرة واحدة، إذا عرفت هذا، وفتحت له أذن قلبك عرفت أن معنى الفعل المنفي والمنهي عنه عدم حصوله مطلقاً سواء كان منفيًا بـ"لا" أو بلا مثل: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [:] ومعنى المنهي عنه أن لا يوجد أبدًا في أي زمنٍ مستقبل، وفي هذه القاعدة المتينة والقانون الراسخ يندرج قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فافهم.

عضد الدين وابن الحاجب والسعد

تتمياً للبحث الذي فرغت منه أضيف إليه ما قرره المحقق الأصولي النحوي عضد الملة^(١) والدين في شرحه لمختصر المنتهى لابن الحاجب وما قاله ابن الحاجب^(٢)، وما علقه سعد الدين رحمهم الله تعالى، وذلك في الجزء الثاني في بحث قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [:] وقوله ﷺ: «لا يقتل مسلم بكافر» في سياق احتجاجهم على الحنفية لإبطال قولهم: إن المسلم يقتل بالكافر المعاهد.

(١) عضد الدين: هو الشيخ العلامة مالك أئمة الأدب، وسالك محجة العرب، خلاصة العلماء والسلاطين، عضد الملة والدين، عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الشافعي الإيجي، كان إماماً في علوم متعددة، محققاً مدققاً، ذا تصانيف كثيرة، منها: (شرح مختصر المنتهى) ومنها (المواقف) ومنها (الجواهر) وغيرها في علم الكلام، و (الفوائد الغياثية في علم البيان) تمت طبقات السنوي.

(٢) ابن الحاجب: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الأسنائي ثم المصري جمال الدين أبو عمرو المالكي النحوي المعروف بابن الحاجب، ولد سنة ٥٧٠هـ، وتوفي بالاسكندرية سنة ٦٤٦هـ من تصانيفه (الأمالي) (الكافية) (الشافعية) (منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل) وغيرها.

قال ابن الحاجب: (لا يستوي) ^(١) نفي على نكرة كغيره،
وشرحاً وتبياناً لهذه الجملة قال العضد: لنا أنه نكرة في سياق
النفي لأن الجملة نكرة باتفاق النحاة، ولذلك يوصف بها النكرة
دون المعرفة، فوجب التعميم كغيره من النكرات .. انتهى.

قال سعد الدين: قوله (لأن الجملة نكرة) دفع لما قيل إن
التمثيل بلا يستوي ليس يحسن لأن المراد بالنكرة اسم الجنس
ويستوي فعل، هذا ولكن تصریحهم بأن التعريف، والتنكير
من خواص الاسم ينفي كون الجملة نكرة، والمحققون من
النحاة على أن المراد بتنكير الجملة أن المفرد الذي يسبك منها
نكرة وعموم الفعل المنفي ليس من جهة تنكيره بل من جهة
أن ما تضمنه من المصدر نكرة، فمعنى (لا يستوي زيد
وعمر) لا يثبت استواء .. انتهى المراد ..

فأنت ترى أنهم قد اتفقوا على حصول العموم وإن
اختلفوا في عامله ومثلها (لا تدركه الأبصار) فالمعنى حينئذ
لا إدراك أو لا يثبت إدراك للأبصار، فتأمل وقف عند هذه

() لا يستوي مبتدأ خبره نفي .

الفائدة وقفة حريص على معرفة الحق وعص عليها
بالنواجذ، ولا يباري فيها بعد هذا إلا من رأس ماله الجدال.

فصل

فإن قلت: المنفي في الآية هو الإدراك، والإدراك هو الإحاطة
ونحن لا ندعي جواز الإحاطة، وإنما مطلوبنا حصول الرؤية
وهي غير منفية، ونفي الأعم لا يقتضي نفي الأخص.

قلت: هذا مردود من وجهين أحدهما من جهة اللغة كما
حقيقه شيخنا المفتي بالنقل عمن يحتج بقولهم في هذا الفن.

وثانيهما نقول: لو كان المنفي هو الإحاطة [لأن الإدراك
كما زعمتم هو الإحاطة] لما بقي في الآية الكريمة المحكمة
صفة مدح للحق عزّ وعلا، لأن أكثر المشاهدات لا يحيط بها
البصر حتى لو كانت من المخلوقات الحقيرة لأن الرؤية إنما
تتعلق بالجانب المقابل، ويحتجب عن الرائي الجانب الآخر.

وبهذا فستكون المشاهدات كلها على تفسيركم لا تدركها
الأبصار وتُسَلَبُ الآية ما فيها من صفة مدح عظيم يختص به
الحق عز وعلا.

فإن قلت: النفي مُنصَبٌ إلى كل الأبصار فيعتبر أن البعض
غير منفي وهو مطلوبنا. قلتُ قد حقق هذا المقام إمام نحاة
عصره نجم الأئمة الرضي^(١) في شرحه لكافية ابن الحاجب
في سياق بحث المفرد و المثني والجمع / ج ٢ ص ١٢٩^(٢)
وقرر أنه من عموم النفي لا من نفي العموم^(٣) لأن الجمع

() الرضي: هو إمام الأئمة، وفاضل الأمة، رضي الدين محمد بن الحسن
الاستراباذي، نحوي صرفي، متكلم منطقي، من آثاره: (شرح الشافية لابن
الحاجب في التصريف) و(شرح الكافية لابن الحاجب في النحو) وغيرها.
() من نسخة مؤلفة من جزئين طبعة قديمة.

() عموم النفي:
عمومُ النفي أن تبدأ بِكُلِّ مسورةٌ وحرفُ النفي بعده
مثاله: كل الدراهم لم آخذ، وكل ذلك لم يكن... الحديث.

نفي العموم
ونقي للعموم مجيء كُلِّ بُعيد النفي فاحذر أن ترده
مثاله: (لم آخذ كل الدراهم) و(ما ضربت كل القوم).

المحلى بالألف واللام يعم عموم النكرة المنفية، وقال ما لفظه: وذلك لأن الجمع المحلى باللام في مثل هذا الموضع يعني في سياق النفي يستعمل بمعنى مُنكَّر مضاف إليه كل مفرد وفي ص ١٣ بعد بحثه المفرد والمثنى المنفيين قال مالفظة: وأما الجمع نحو (ما لقيت العلماء) فهو بخلافها بل هو بمنزلة منكَّر في سياق غير موجب ثم قال رحمه الله تعالى فمعنى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ شيء من الأبصار لا جميع الأبصار كما توهمه بعضهم .. انتهى المراد منه.

وهذا قريب جداً مما قدمنا لك منقولاً عن العضد ومَن إليه، إلا أن ذاك في متعلق الفعل المنفي والمنهي عنه، وهذا في متعلق الجمع المنفي ...

فصل

وإذا أمعنت النظر في الآية الكريمة وتفقهت الغرض من سياقها وأنها إنما سيقت بعد عدة آيات مباركات ليحملن

أوصافاً مباركة يختص بها الحق تبارك وتعالى هناك يقع في قلبك بلا ريب أن الحق علت كلمته إنما أراد تنزيه نفسه عن الرؤية وتعالیه عنها وإنما قال ﴿الْأَبْصَارُ﴾ مبالغةً في النفي لأن: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أدل على المنع من (لا يدركه البصر)، كما إذا قلت (هذا الشيء لا تغلبه الرجال) فهو أقوى من (لا يغلبه الرجل) لأننا قد نفينا غلبة الرجال مجموعين أو مفرقين، وقريب من هذا ما قرره العلامة المقبل^(١) في أبحاثه المسددة في قوله تعالى حاكياً عن الكلیم ﷺ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [ودونك ما قاله مع اختصار غير مخل بالمطلوب قال ما لفظه: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ النفي المستغرق للأوقات^(٢) ثم قال بعد سطر فيبقى عموم اللفظ

(١) المقبل: صالح بن مهدي بن علي بن عبد الله المقبل، عالم مشارك في التفسير والحديث واللغة العربية والفقہ، ولد في قرية المقبل من أعمال كوكبان، وانتقل إلى صنعاء، ثم سكن مكة وتوفي بها، مؤلفاته: (العلم الشامخ) و(الأبحاث المسددة) وغيرها.

(٢) الأبحاث المسددة ص ٩٦-٩٨.

(٣) أي في الدنيا والآخرة.

بلا معارض ودليل عموم النفي هنا ما حُقق في عموم النفي والنهي وقد حققناه في بحث أصول الفقه، ثم قال رحمه الله: إذا عرفت ذلك فحاصله أن هذا مساوٍ لقوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ في أنه لا يراد بعض الأبصار في بعض الأوقات كما زعمت الأشعرية إذ ذلك معلوم ضرورة لكل أحد، وأيضاً لا يختص به تعالى فكل موجود، حتى السماء والأرض لا تدركها بعض الأبصار في بعض الأوقات وهذا هو ما دل عليه السياق^(١) الذي لا حيلة فيه.

أعني أن شأنه سبحانه ذلك، فلا يدخله تخصيص بأي اعتبار ولهذا عقبه بقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [:] والله يهدي بكتابه من اتبع رضوانه سبل السلام ويهديهم إلى صراط مستقيم. انتهى كلامه وما قرره العلامة القبلي ومن قبله من العموم المستفاد من الفعل المنفي

() أي سياق الآية.

أو المنهبي قرره العالم المجتهد الأصولي سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي الأمدي^(١) في أصول الفقه في كتابه (إحكام الأحكام) في الجزء الثاني في المسألة العاشرة في بحث الفعل المتعدي إذا لم يسَلِّط على معمول^(٢) نحو (والله لا آكل)، (وأنت طالق إن أكلت)، وقرر رحمه الله أن النفي يتجه إلى الماهية أي إلى الحقيقة من حيث هي، وقال ما لفظه: فهو نافي للأكل من حيث هو أكل ويلزم من ذلك نفيه بالنسبة إلى كل مأكول، وإلا لما كان نافياً لحقيقة الأكل من حيث هو أكل، وهو خلاف دلالة اللفظية. انتهى.

ومن هنا فلن تجد فرقاً بين هذا التركيب وبين ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ من حيث إن النفي داخل على الفعل، وأنه نفي للماهية من حيث هي.

(١) الأمدي: هو أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الفقيه الأصولي، الملقب سيف الدين الأمدي، أحد أذكى العالم، ولد بآمد سنة ٥٥١هـ وتوفي في دمشق سنة ٦٣١هـ، له (الإحكام في أصول الأحكام) و(أبكار الأفكار) و(دقائق الحقائق في الحكمة) و(غاية المرام في علم الكلام) وغيرها.
(٢) أي لم يكن له مفعول به ليعم.

وتذيلاً لما سبق نقله عن أرباب التحقيق أختتم المقال في نفس الغرض بما حققه وقرره العلامة سعد الدين رحمه الله في مطوله عند شرحه لقول الخطيب القزويني^(١): (واستغراق المفرد أشمل) في آخر البحث ص ٨٤، ٨٥.

قال سعد الدين رحمه الله تعالى^(٢) تمييزاً للبحث (بل لبحثه) [لا رجل في الدار ولا رجال]، قال: ولقائل أن يقول: لو سُلِّم كون استغراق المفرد أشمل في النكرة المنفية فلا نسلم ذلك في المعرف باللام بل الجمع المحلى بلام الاستغراق يشمل الأفراد كلها مثل المفرد كما ذكره

(١) الخطيب القزويني: هو جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الخطيب القزويني، ولد عام ٦٦٦هـ بالموصل، وتوفي عام ٦٩٩هـ، من مصنفاته: (الإيضاح في علوم البلاغة) و(تلخيص المفتاح) أي: مفتاح العلوم للسكاكي، أديب، عالم بالعربية والمعاني والبيان.

(٢) التفتازاني: نسبة إلى تفتازان من أعمال خراسان إليها نسب المحقق سعد الدين، ولد سنة ٧١٢هـ وتوفي سنة ٧٩١هـ، أخذ عن قطب الدين الرازي، وعن عضد الدين، له (المطول) (شرح التصريف) و(تهذيب المنطق) وغيرها.

أئمة الأصول والنحو، ودل عليه الاستقراء، وصرح به
 أئمة التفسير في كل ما وقع في التنزيل من هذا القبيل
 نحو: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ﴾^(١) [:] ﴿وَإِذْ قُلْنَا
 لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [:] ﴿وَاللَّهُ سُبْحٌ
 الْمُحْسِنِينَ﴾ [:] ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ
 بِبَعِيدٍ﴾ [:] إلى غير ذلك ولهذا صح (جاء القوم أو
 العلماء إلا زيدا)^(٢) انتهى المراد منه..

نعم فأنت ترى أن الأبصار من قوله سبحانه: ﴿لَا
 تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ منتظمة في هذا السَّمَط^(٣)، وأن المعنى
 لا بَصَرٌ يدركه على هذا التخريج، أو لا إدراك بصر يقع عليه
 في (نفي الفعل وعمومه) وأن ذلك مستحيل وممتنع والله
 يهدي لنوره من يشاء.

(١) أي كل غيب، أي الغيب من حيث هو.

(٢) فلو لم يكن زيد داخلاً في القوم أو العلماء لما صح إخراجهم منهم.

(٣) السَّمَط: الخيط ما دام فيه الحَرَزُ وإلا فهو سلك، تمت مختار الصحاح.

فصل

منحك الله الإنابة ورزقك الإصابة، وجنبك الشبهة وعصمك من الحيرة، تأمل إلى كتاب الله سبحانه تأنس من نظمه ومقام خطابه أنه^(١) جعل الرؤية في حيز المستحيل الذي لا يمكن وقوعه، ولا ينبغي طلبه، ألا ترى أن إبراهيم^{عليه السلام} سأل مولاه أن يريه كيف يحيي الموتى وأجيب إلى طلبه، ولما سأل موسى^{عليه السلام} ربه رؤيته لغرض قومه المعلقين إيمانهم بربههم على مشاهدته كما هو محكي في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْقَةُ وَأَنْتُمْ تُنظَرُونَ﴾ [:] ولم يقتنعوا بقول موسى^{عليه السلام} إنها لا تجوز على الله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا

(١) جملة (أنه جعل....) في محل نصب مفعول به لتأنس، ولهذا فتحت أن.

فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ [:] .

بدأ النبي ﷺ بالتسبيح تنزيهاً لله سبحانه مما جوزه الجهال
عليه من الرؤية وعقب ذلك بالتوبة، نعم تاب من طلب ما
لا يجوز أن يطلب مع سبق علمه سبحانه أنه - أي موسى -
إنما قصد إقناع قومه وطمعاً في إيمانهم لأنهم علّقوا إيمانهم
بالرؤية ولكن الحكمة قضت بوقوع الصاعقة تبياناً لعظم
تجويز الرؤية عنده ولطفاً بالمؤمنين.

باب منه

وفي مجال تعظيم الرؤية وأن نسبتها إلى الله مما لا يجوز عليه
قال سبحانه مُسْلِياً وَمُسْرِيّاً عن عبده ونبيه ﷺ من عنت أهل
الكتاب وأن دينهم اللّد والجدل ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ
تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا
أرنا الله جهرة﴾ [:] فهذا الطلب لم يصدر من مصدر

إيمانٍ ولا لمرتادي الحق، وانظر إلى قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِنْ رَبِّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [:].

ومن هنا وبما أسلفنا يَرَسَخُ قدمُ اليقين إلى أن مقام الربوبية لا يُكْتَنَهُ ولا يُتَصَوَّرُ عَظْمَةً وِجَالاً وكبرياءً، فلا يحق لأي مخلوق من جن أو إنس أن يُمَنِّي نفسه بالحصول على هذا الطلب؛ لأنه طلب لا يُنال، ولأن المخلوق لا تتحمل طاقته النظرية ولا قوته البدنية رؤية الخالق، وانظر ما وقع للجبيل وكيف غدا من مجرد تجلي شيء من النور الإلهي، ويستوي في هذا كل مخلوق حتى حملة العرش، وإليك ما قرره العلامة^() في كشافه رحمه الله تعالى بعد زَبْر^() الآية تبركاً بها قال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ سَمَّوْنَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا

() العلامة إذا أُطلق فالمراد به جار الله الزمخشري.

() الزَّبْر: الكتابة، تمت مختار الصحاح.

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةٌ وَعِلْمًا فَأَغْفِرُ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ
وَقَوْمَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ [:] .

قال العلامة رحمه الله: روي أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم إلى أن قال مما يعيننا نقله، فإن قلت ما فائدة قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِمْ﴾ ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون؟
قلت: فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الأنبياء في غير موضع بالصلاح لذلك، وكما عقب أعمال الخير بقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [:] فأبان بذلك فضل الإيمان.

وفائدة أخرى: وهي التنبيه على أن الأمر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معانين ولما وُصفوا بالإيمان؛ لأنه إنما يُوصف بالإيمان الغائب، فلما وُصفوا به على سبيل الثناء عليهم عُلِمَ أن إيمانهم وإيمان من

في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواءً في أن إيمان الجميع بالنظر أو الاستدلال لا غير، وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا... انتهى كلامه رحمه الله^(١).

فصل

فإن قلت: فما تصنع بأحاديث صحيحة رويت في السنة النبوية على صاحبها وآله السلام من أن المؤمنين يرون ربهم لا يُضامون فيه؟

قلت: أجمع بينها وبين قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ بما يكون إيماناً بهما كما افعل مع آية محكمة وأخرى متشابهة بحمل كل منهما في محمله الذي يليق به بحيث يكون إعمالاً لهما بلا تعارض ونخرج من عهدته الإيوان ببعض والكفر ببعض؛ لأن كليهما وحي إما متلو أو غير متلو،

() الكشاف ج ٣ ص ٤١٦، ٤١٥. طبعة دار الفكر.

ويتعين الإيمان بالمحكم والمتشابه، والجمع أولى ما أمكن بل هو المتعين عند الإمكان، فأحمل الآية القطعية نصاً ودلالةً والتي هي محفوظة بحفظ مَنْ أنزلها من أي تغيير أو تبديل التي لا يدخلها تخصيص بأي اعتبار على ما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه وتقده عن مشاهدة المخلوق من استحالة رؤيته بأي بصر وفي أي زمان أو مكان، لأن هذه الآية وسياقها وقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ قد أعيت فيها الحيل كما قال العلامة القبلي رحمه الله، وأحمل الرؤية المنصوص عليها في السنة النبوية على الرؤية القلبية والعلم القاطع جمعاً بين الدليلين وهو محمول لغوي حقيقي لا مجازي.

فإن قلت: لا نُسَلِّم أن الرؤية حقيقة في العلم القاطع ولا في الرؤية القلبية، قلت: ألبسك الله شعار المعرفة، وحبب إليك الإنصاف وأذاقك حلاوة الوقوف على الحق، اعلم أن الحقيقة قد تكون في شيء واحد، وقد ترد حقيقة في أشياء وهذا معلوم مفروغ منه ويسمى متواطئاً ومشاركاً، وهاهنا

فيما نحن بصدده لا يمكن قصر حقيقة الرؤية على إدراك الشيء بواسطة الشعاع المنفصل من العين المتلقى بضوء عاكس فقط؛ لأن الرؤية في أصل وضعها العام هي الوقوف على عين المعلوم.

إما بالعين كقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ [:] ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ [:] ﴿فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [:] وقد تكون بالقلب نحو قوله تعالى: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [:] أو بالعلم القاطع نحو قوله سبحانه: ﴿فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلِكُمْ﴾ [:] لوجوب^() تنزيهه سبحانه عن الجارحة ويطلق أيضاً على العلم المجرد نحو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [:] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ بِرُءُوسِهِمْ﴾ [:]، ونحوها، والمعنى الم يتتبع علمك الى هذه القصة العجيبة.

() هذا تعليل لتفسير الرؤية في قوله: ﴿فسيرى الله عملكم﴾ بالعلم القاطع.

فائدة بديعة في: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾

فيها تشابه الأطراف وهو جزء من مراعاة النظر وهو أن يكون في آخر الكلام ماله تعلق بأوله.

إمّا مرتباً، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ فاللطيف تعلق بقوله لا تدركه على معنى كيف تدركه الأبصار وهو غير مندرج في قوتها؛ لأنه لطيف، والخبير تعلق بـ[يدرك الأبصار] على معنى كيف لا يدرك الأبصار وهو الخبير ببواطن الأشياء وظواهرها أو غير مرتب، كقوله:

كيف أسألو وأنت حَقْفٌ وِغْصَنٌ

وِغْصَنٌ حَقْفٌ وَقَدْ أوردنا^(١)

(١) فاللحظ للغزال، واليَقْد للغصن، والردف للحقف.

خاتمة

ثم اعلم أنّ الإدراك بالبصر أخص من الرؤية كما أشرنا إليه سابقاً؛ لأن الرؤية تتأتى بالبصر والقلب ومنه: رأيتُ الله أكبرَ كل شيء

والإدراك لا يكون إلا بالبصر فلا تلازم بين (إنكم سترون ربكم) وبين ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لأن المنفي أخص ويثبت ما قلناه وهو الرؤية القلبية وهي حقيقة لغة كما في القاموس وغيره.

وهنا تم واجب القلم والمداد، فله الحمد على الإمهال والإمداد، وأسأله سبحانه أن يجعل ما وفق فيه لتأليفه سبباً لنيل ولايته ولطفه، وكفايته وعفوه وعافيته، وسبباً للعتق يوم يغلق الرهنُ بها فيه، والحمد لله الذي ليس لأزليته ابتداء، ولا لأبديته انتهاء، وصلى الله وسلم على محمد الذي عُرجَ به

إلى سدرۃ المنتهى، وعلى آله وصحبه الراشدين هداة
أولي النهى...

تم الفراغ منها في خمسِ خلون من شهر ربيع الآخر
لعام ١٤١٩هـ.

كتب المعترف بالتقصير

أحمد بن لطف بن زيد بن علي الديلمي

عامله ربه بأحمد لطف

الفهرس

٣	نبذة عن المؤلف
٣	مولده ونشأته
٤	حياته العلمية ومشاخه
٥	مؤلفاته
٦	هذه الرسالة
١٠	تفصيل حجة المنع وسننها
١١	فصل
١٤	فصل
١٦	عضد الدين وابن الحاجب والسعد
١٨	فصل

٢٠	فصل
٢٦	فصل
٢٧	باب منه
٣٠	فصل
٣٣	فائدة بديعة في: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾
٣٤	خاتمة
٣٦	الفهرس